الممارسات الدينية ودورها بناء الروابط الاجتماعية

المجال العمراني للضريح في مدينة الاغواط

شتاتحة أم الخير
جامعة الأغواط (الجزائر)

Résumé:

Il ne fait aucun doute que les transformations sociales qui ont eu lieu et est toujours en cours dans les villes du désert a apporté de nouveaux changements au niveau des structures et de l'économie et les divers domaines de la vie, mais ce qui a attiré nos pratiques religieuses attention de télécommunications qui ont lieu dans la zone urbaine de tombes dans les villes du désert, qui, comme l'a confirmé par notre étude sur le terrain par un groupe de les résultats que nous allons plus particulièrement dans les points suivants, que les pratiques religieuses pratiquées par ses acteurs, en particulier pendant les saisons annuelles tenues dans la zone urbaine des sanctuaires - modèle de la ville de Laghouat _ créerait de nouveaux liens sociaux que cela va maintenir des liens sociaux.

Mots clés: pratiques religieuses, l'intégration, les liens sociaux, la ville, des espaces, des sanctuaires.

ملخص

لا شك أن التحولات الاجتماعية التي شهدتها ولازالت تشهدها المدن الصحراوية حملت معها تغييرات جديدة على مستوى بنياتها واقتصادها وشتى مجالات الحياة فيها، ولعلى ما لفت انتباهنا تلكم الممارسات الدينية التي تقام في المجال العمراني للأضرحة في المدن الصحراوية، والتي كما أكدته دراستنا الميدانية من خلال مجموعة من النتائج التي سنعرض أبرزهـــــا في النقاط الموالية، مفادها أن الممارسات الدينية التي تمارس من قبل فاعليها خصوصا أثناء المواسم السنوية التي تقام في المجال العمراني للأضرحة – مدينة الأغواط نموذجا – من شأنها أن تخلق روابط اجتماعية جديدة كما من شأنها أن تحافظ على الروابط الاجتماعية الموجودة.

الكلمات المفتاحية: الممارسات الدينية ، الاندماج ، روابط اجتماعية ، المدينة ، فضاءات ، الأضرحة .

تمهيد : لا شك أن التحولات الاجتماعية التي شهدتها ولازالت تشهدها المدن الصحراوية حملت معها تغييرات جديـــدة على مستوى بنياتها واقتصادها وشتى مجالات الحياة فيها، ولعل ما لفت انتباهنا تلكم الممارسات الدينية التي تقام فـــي المجال العمراني للأضرحة في المدن الصحراوية، والتي من شأنها أن تخلق روابط اجتماعية جديدة كما من شـــأنها أن تحافظ على الروابط الاجتماعية الموجودة.

هذا ما أكدته دراستنا الميدانية السابقة ودراسات مازالت في طور الانجاز، والتي توصـــلنا مـــن خلالهـــا إلـــى مجموعة من النتائج سنعرضها في النقاط الموالية، مفادها أن الممارسات الدينية التي تمارس من قبل فاعليها خصوصـــا أثناء المواسم السنوية التي تقام كل سنة في المجال العمراني للأضرحة – مدينة الاغواط نموذجا _ من شأنها أن تجـــدد الروابط الاجتماعية الموجودة او تخلق روابط اجتماعية جديدة .

هذا ما أردنا إدخاله إلى دائرة التحليل السوسيولوجي، فبقدر ما صار علم الاجتماع علما للمكان الاجتماعي فـــي مسارات تطوره وتغيره وتحضره صارت الأديان من أهداف البحث السوســـيولوجي، خصوصـــا فـــي الجماعـــات أو المجتمعات التي تجعل الديني فوق الدنيوي، وتمنع درس المقدس ليبقى غامضا، مبهما، حكرا على من يمارسونه .

فالدين ظاهرة سوسيولوجية ذات توظيفات شتى على أصعدة الإيديولوجيات السياسية والاقتصادية ، وعلى الباحث أن يدرس هذه التوظيفات بذاتها، لا أن يضع الدين كإيديولوجيات في مواجهة إيديولوجيات أخرى ، فالمطلوب علميا هو درس ما يحدث في المجتمع ، وتحديد نسبة الحدث الديني وقوته ، وتبيان أثره وتأثيره ، وخصوصا تأثره بالمجتمع الذي يعتنقه .

فقد قلب علم اجتماع الأديان منظار التفسير أو التأويل لمعنى النظام الاجتماعي، فكل مبدأ أو اعتقاد ديني يفسر بالحوادث أو الوقائع المجتمعية، أي أن الظواهر الاجتماعية التي ندرسها نجد تفسيرها في مبادئها الاجتماعية، لا خارجها، ولا فوقها. وهذا ما يؤسس لمنطق السببية الاجتماعية ، حيث توضع الظاهرة الدينية في مرجعها الاجتماعي ، فتعرف به، لا بسواه. [1]

فهل هناك قوانين عامة تسير عليها الجماعات في تطور ممارساتها الدينية ؟ وما هي هذه الأسباب وهل تؤدي إلى النتائج نفسها؟

هل تلكم الممارسات هي من صنع المجتمع أم أنها موجودة في غنى عنه ؟ من المسئول عن وجود تلكم الممارسات عبر مراحل تاريخية ؟ هل الظاهرة مجتمعية أم ذاتية متفردة ؟

ومنه حاولنا القيام بدراسة ميدانية سابقة في محيط ومجال الأضرحة – مدينة الاغواط نموذجا – باعتبارها من ضمن الأماكن التي تحدث في مجالها ممارسات دينية واجتماعية مختلفة بما تحمله من دلالات سوسيولوجية تعمل على بناء وإعادة تشكيل الروابط الاجتماعية في المدن الصحراوية .

المنهجية المعتمدة : أملت علينا طبيعة الدراسة الاستناد على أكثر من منهج للضرورة المنهجية ، اين استندنا على **المنهج التاريخي** لتتبع أحداث الظاهرة وديناميتها، باعتباره يقوم على:"فهم الحاضر بدراسة خلفيته التاريخية والدور الذي لعبته الأحداث في الماضي ويحاول إيجاد العلاقة بين أحداث الماضي ووقائع الحاضر المشابهة لها وذلك بهدف الوصول إلى تعميمات تفسر أحداث الماضي وتنطبق على الحاضر".[2] فإذا كان التاريخ غير قابل للإعادة فالمنهج التاريخي بإمكانه أن يسترد أحداث الماضي لدراستها ومحاولة إيجاد تفسير لها في الحاضر وللوقوف على قوانين أو نتائج من شأنها أن تحكم سير هذه الظواهر مستقبلا، فمن خلال كتابات **إميل دوركهايم** تعلمنا أن علم الاجتماع سيكون تاريخا أو لن يكون.

وكذا **المنهج الوصفي** لوصف ما أمكن ملاحظته حول الظاهرة كما هي، والذي يعد " أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن الظاهرة، أو موضوع محدد من خلال فترة او فترات زمنية معلومة وذلك من اجل الحصول على نتائج علمية تم تفسيرها بطريقة موضوعية".[3]

إلى جانب الاستناد على **منهج تحليل المحتوى** كمنهج مكمل لتحليل محتوى المقابلات ومقارنتها وذلك من خلال التحليل الفئوي لمحتوى تلك الإجابات أين وقع اختيارنا على وحدة الجملة انطلاقا من مدى تحقيقها لمتطلبات الدراسة في إطار الفروض البحثية وطبيعة البيانات، " كتقنية غير مباشرة تطبق على مادة مكتوبة مسموعة أو سمعية بصرية، تصدر عن أفراد أو جماعات أو تتناوله والتي يعرض محتواها بشكل غير رقمي أنها تسمح بالقيام بسحب كمي أو

[1] – يوسف شلحت، **نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني**، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2003 ، ص– ص 13– 21 .

[2] – فوزي غرايبية وآخرون، **أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية**، دار وائل، عمان، ط3، 2002، ص30.

[3] – محمد عبيرات، محمد أبو نصار، **منهجية البحث العلمي**، دار وائل للنشر، الأردن، ط 2، 1999، ص 46.

كيفي". كما يعرف بأنه "رد محتوى الشيء، أو الفكرة، أو الخطاب المحلل، إلى عناصره الأولية البسيطة، بمعنى أنها تخالف المركب المحلل في خصائصه".[4]

ومن ثم ارتأينا أن تكون كل من **الملاحظة بالمشاركة** التي تعد هي الأداة التي تمد الباحث الملاحظات اللازمة لتصميم الاستمارات والاختبارات، كما أنها هامة لاختيار المعلومات الحقلية اللازمة لتقييم الشواهد التي جمعت بالوسائل الأخرى المتخصصة. فالدراسة الحقلية تتطلب أكثر من مجرد التواجد والمراقبة السلبية لما عليه الناس، ذلك أن الباحث يحتاج إلى التحري عن كثير مما يظهر له في أول ملاحظة، دون أن نهمل ما يمده الإطار النظري من تساؤلات وموضوعات بحيث أن الباحث عندما يشاهد واقعة يحاول أن يكتشف علاقتها بهذا الإطار المرجعي".[5]

وكذا **الاستمارة بالمقابلة** التي تعرف بأنها :"وجيز أسئلة يطرحها المستجوب الذي يقوم (في نفس الوقت) بتسجيل الإجابات المقدمة من طرف المستجوب". [6] حيث قمنا باستجواب **100** مبحوث بشكل عشوائي مراعين في ذلك المرونة قدر الإمكان، أين تضمنت هاته الاستمارة بالمقابلة **55** سؤال منها ما هو مفتوح واغلبها ما هو مغلق ضمن أربعة محاور رئيسية بعد محور البيانات الشخصية ، ليعكس كل محور من المحاور الأربعة فرضية من فرضيات الدراسة المقترحة حسب مؤشراتها ومن ثم متغيراتها.

إلى جانب **المقابلة المفتوحة** والتي " تتكون المقابلة في أبسط صورها من مجموعة من الأسئلة أو البنود التي يقوم الباحث بإعدادها وطرحها على الشخص موضوع البحث وجها لوجه ويقوم الباحث بتسجيل الإجابات عليها بنفسه وهذه البيانات تفيده في معالجة متغيرات دراسته والإجابة على فرضيات بحثه".[7]

أيضا استندنا في دراسة محتوى المقابلات التي أجريناها أسلوبا ارتأينا انه الأنجع في تتبع محتواها كما هو متعارف عليه منهجيا ألا وهو **التحليل الفئوي**، بحيث في هذا النوع من الدراسات يتم المزج بين فرضيات نظرية وفرضيات ميدانية تتمحور حول الفرضيات المتعلقة بدراسة وتحليل محتوى المقابلات حيث ترتبط"عملية التصنيف وتحديد الفئات classification and categorizing بمفهوم التجزئة parting بناءا على محددات يتم وصفها والاتفاق عليها مسبقا. ومن ثم فان فئات المحتوى هي عبارة عن أجزاء اصغر تجتمع فيها وحدة الصفات أو الخصائص".[8]

كما اعتمدنا في تحليل المحتوى إلى محتوى المقابلات، وهو إجراء مفتوح على كل التأويلات إذ تم التركيز فيه على ما يمكن استخراجه من دليل المقابلات، وهذا ما يعتبر صعبا للغاية خصوصا عند التحليل حيث يستوجب تتبع الكلمات بصفة أكثر دقة، فالباحث في كل مرة يقوم باستكشاف أمور غير ظاهرة من التعبير المباشر. وهذا ما سماه Ghiglione و Mathelon بالإجراء المفتوح في تحليل المحتوى حيث يعرفه: " الإجراء المفتوح إجراء استكشافي لا يستند إلى إطار فئوي نظري أو أمبريقي كدعامة وسند لتحليل النتائج المنبثقة من منهجية تحليل محتوى واحدة..."،[9] وهذا ما قد يضفي الطابع المعقد المستند فقط إلى معطيات المقابلات وتحليلها من طرف الباحث.

وقد وقع اختيارنا على **وحدة الجملة** انطلاقا من مدى تحقيقها لمتطلبات الدراسة في إطار الفروض البحثية وطبيعة البيانات إلى جانب ما تحققه من نتائج مرضية حول الموضوع محل الدراسة. أين تحصلنا على **(111)** فئة

---

[4] – حسان هشام، **منهجية البحث العلمي**، مطبعة الفنون البيانية، الجلفة، ط ١، 2007، ص 69.

[5]–عبد الله عبد الغني غانم، **قراءات و تطبيقات في طرق البحث الأنثروبولوجي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2004، ص105.

[6]– موريس أنجرس، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية** – تدريبات عملية – تر: بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، سعيد سبعون، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص 105.

[7]– محمد داودي، محمد بوفاتح، **منهجية كتابة البحوث العلمية والرسائل الجامعية**، دار مكتبة الأوراسية، الجلفة، ط1،2007، مرجع سابق، ص124 .

[8]– محمد عبد الحميد، **تحليل المحتوى في بحوث الإعلام**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (ب.ط)، 1979، ص.ص 112. 113.

[9] - Ghiglione Rodolphe, Mathelon Benjamin, **Les enquetes Sociologiques Théories et pratique**, Librairie Armand Colin, Paris, 1978, p 184.

ولكل منها عنوان وتكرار ونسبة، ومنه الوصول إلى محتوى تلك المقابلات بغية تدعيم النتائج المتوصل إليها سابقا وبالتالي التحقق أكثر من مدى صحة ما افترضناه.

إلى جانب طبعا **التصوير الفوتوغرافي:** بغية تسجيل بعض الفيديوهات للمواسم المقامة أثناء تلك الفترة ورغبة منا في تحليل محتواها لإعطائها دلالات رمزية بالاعتماد على وحدة قياس المسافة والزمن لتلك المقاطع.

ووفقا للمتغيرات الأساسية للدراسة وتماشيا مع أهدافنا البحثية التي نسعى إلى تحقيقها ، ووفقا للنموذج الذي رصدناه في الجانب النظري اعتمدنا في اختيارنا **للعينة** على نمطين من أنماط العينة نمط **العينة العشوائية** مع زوار ضريح سيدي عطاء الله، ونمط **العينة القصدية** مع مقدمي زاوية سيدي عطاء الله والقائمين على شؤون الضريح ، آخذين بعين الاعتبار ما يراه على سبيل المثال بيار بورديو من ان:" تفحص مشكلة مطروحة في عالم مألوف، على أشخاص مألوفين...شرط تحول علاقة ما من العرفية إلى المعرفة العلمية".[10]

عرض نتائج الدراسة المتعلقة بمحور المداخلة مع التحليل : ما نستنتجه من خلال جزء من شبكة الملاحظة المعروضة ضمن الجدول رقم **(01)** أن هناك نوع من العلاقات الجديدة التي تحدث بين زوار الضريح كما هو مدون في الفقرة التالية : " ... الزوار كانوا في البداية يتفاعلون مع من حضروا معهم فقط من مرافقيهم، لكن سرعان ما يندمج غالبيتهم مع الزوار الآخرين بعد التحاور معهم كونهم يعانون من نفس المشكل أو المرض أو يشتركون في نفس سبب الزيارة ولديهم نفس الاعتقاد حول الضريح ...".

هذا ما توصلنا إليه كذلك كما هو مدون ضمن الجدول رقم **(02)** أنه خلال الموسم السنوي للضريح تحدث نوع من الروابط الاجتماعية الجديدة وان قلت النسبة كون عدد الأفراد المستجوبين كان ضئيل تماشيا مع العينة المتعبة ، تلك الروابط المتمثلة في [التعارف بين الأفراد والمجموعات إلى جانب المصاهرة] بنسبة 5,40%، إلى جانب [عملية إصلاح ما فسد بين القبائل والأفراد ...] بنسبة 5,40%، وكذا [إبرام الصفقات التجارية والأسواق الاستثنائية] بنسبة 2,70% . مما يبين إن خلال تلك الممارسات الدينية التي تقام في فضاء ومحيط الضريح يحدث فعلا روابط اجتماعية جديدة داخل المدن الصحراوية .

إلى جانب الفئات الأخرى كما يوضحه الجدول رقم **(03)** ولكل فئة طبعا دلالتها التي تثب بدورها تجديد وبناءا روابط اجتماعية جديدة ونقصد الفئات التالية : [يحلون المشاكل العالقة بين العروش والعائلات والأفراد...] ، [تجتمع فيه كل الناس من جميع ولايات الوطن...] ، [تكون هناك مصالحات بين المتخاصمين] [التعارف بين الأفراد والمجموعات إلى جانب المصاهرة] ، [الفنطازيا أين يتنافس الفرسان...] وبالتالي خلق طبقات اجتماعية ، [الغالبية من سكان منطقة البيض من قبيلة مكانة...] أحياء للقبائل ، [حل النزاع على الأراضي...] ، [كان قديما يحضرها أولاد الولي أو قبيلة الولي مع أحبابه ...] أي تقوية صلة الدم التي تربط أحفاده ومريديه ، [عملية إصلاح ما فسد بين القبائل والأفراد ...]، [الديات...إصلاح ذات البين مجملا...] ، [تقام بعد موسم الحصاد لاستقبال الموسم الجديد...] الاهتمام بالجانب اقتصادي

– كذلك أثبتت النتائج التي توصلنا إليها أن هناك من زوار الضريح من يتوجهون للزيارة بحثا عن الاندماج بعد أن شعروا بنقص الاندماج نحو الجماعة التي ينتمون إليها خارج إطار أو فضاء الضريح وذلك بنسبة 42,10% موزعة على كل من جماعة العمل، الجمعيات، الدراسة بنسبة 05,26% في كل فئة،و بنسبة 26,31% لجماعة الحي كما هو مدون في الجدول رقم **(04)**، مما قد يدفع ذلك الفرد للبحث عن الاندماج مع الأفراد الذين يلتقي بهم أثناء الزيارة وفي

[10] - P. Bourdieu, Esquisse d'une théorie de la pratique – suivie de trois études d'ethnologie kabyle- Genève, paris, 1972, p 156

محيط ضريح الولي، كونه شعر بنقص الاندماج إلى الجماعات الأخرى التي ينتمي إليها خارج هذا الفضاء، هذا ما قد أكده فيريه من أن قوى حقيقية تبرز من هذه الطقوس، التي تدفع الفرد نحو الجماعة ومن هنا وظيفتها الاجتماعية: "حيث أن الأعياد الدينية فيها تشد من وحدة وقوة الجماعة" ولكنه هنا يختلف مع دوركهايم الذي شدد على الوظيفة الاجتماعية للأسطورة والطقس فهو (أي فيريه) لا يوافق دوركهايم على أن الرباط الاجتماعي يمتزج بالرباط الديني لأن المجتمع الإنساني يتواطأ برأي فيريه في بداية الأمر بالحاجات "فالروابط العاطفية والروحية تضاف فقط إلى هذا الرباط البدائي الذي يبقى خاضعا لها دون أن يدرك ذلك. ودورها هو التعبير عن الروابط الموضوعية المعقودة في الوجود وتقويته"[11].

مع الأخذ بعين الاعتبار طبعا أن النسبة التي نتحدث عنها لا تمثل سوى 42,10% فقط ، كون أن هذه النسبة لا تمثل حتى نصف مجتمع البحث المدروس.

– ومما يعزز ما ذكرناه سابقا ما بينته دراستنا كذلك أن النسبة المدونة في الجدول رقم **(05)** والمقدرة بحوالي 73,68% بتكرار 70 مرة من مجموع زوار ضريح سيدي عطاء الله تؤكد أنهم يشعرون بالاندماج مع جماعة الزيارة، أي بمن يلتقون بهم من زوار أثناء توجههم لزيارة الضريح سواء كان لديهم رغبة في ذلك أم لا، إلا أنهم يشعرون بذلك الاندماج الذي قد يعود لكونهم تجمعهم وجهة واحدة سواء تعلقت بالبحث عن الشفاء أو إيجاد الحلول لمشاكل قد تكون نفسية أو اجتماعية مما يعانون، وبالتالي فبمجرد التحاور مع بعضهم البعض حول سبب الوجهة وبتبادل الآراء والخبرات خاصة تلك المتعلقة بالزيارات السابقة لهم، في شكل تعارف حول سبب الزيارة، يروون قصص لأقربائهم أو أناس يعرفونهم كانوا يعانون من مشاكل مختلفة صحية كانت أو نفسية أو غير ذلك هم يقيمون بذلك علاقات وروابط اجتماعية جديدة .

هذا ما نجده في تحليلات مانهايم من أن انتماء الفرد إلى مجموعة اجتماعية محددة يؤدي إلى تحديد تفكيره بصورة قدرية مسبقة من خلال وضع هذه المجموعة. فالفرد لا يمكن أن ينفصل عن المجموعة التي يفكر ويتصرف بداخلها وتفكير مرتبط ارتباطا وثيقا بوعيها، والوعي الفردي هو بالنسبة لمانهايم وببساطة برهان على أن المجموعة تعي وضعها الاجتماعي وعيا مباشرا هنا يبدو بوضوح كم هو متناقض مفهوم مانهايم حول الارتباط بين الوجود الاجتماعي والوعي.[12]

– وهذا كذلك ما استنتجناه خلال دراستنا البحثية أن هناك نسبة كبيرة ممن يحضرون الموسم السنوي للضريح من فئة صغار السن والمقدرة بـ 84,21% كما هو مدون في الجدول رقم (**06**) تلك الفئة والتي مهما كان سبب تواجدها إلا أنها موجودة وبقوة حاملة معها أفكار وسلوكيات وممارسات بنية جديدة من شأنها أن تعيد نمط الروابط بشكل آخر في المجال العمراني للضريح إلى جانب أنهم يقيمون تلك الاحتفالات لان الولي كان يقيمها كما هو مقدر ضمن الجدول رقم **(07)** بنسبة 73,68% وبالتالي هم يجددون من خلال تلكم الممارسات الدينية رابط الدم او صلة القرابة التي تصلهم بالولي .

الجدول رقم 01 : يعرض جزء من شبكة الملاحظة

تسجيل محتوى الملاحظات	غرضها	نوعها	مكان الملاحظة
– **تفاعلات الزوار:** مما لاحظناه أيضا أن الزوار كانوا في البداية يتفاعلون مع من حضروا معهم فقط من مرافقيهم، لكن سرعان ما يندمج غالبيتهم مع الزوار الآخرين بعد التحاور معهم كونهم يعانون من نفس المشكل أو المرض آو يشتركون في نفس سبب الزيارة ولديهم نفس الاعتقاد حول الضريح وهذا طبعا من خلال تبادل أطراف الحديث بينهم مما يعزز وجهة نظرهم هذه. وبالتالي لاحظنا أن الضريح يشكل كذلك مكان التقاء وتكوين صداقات جديدة بين الزوار.	دراسة ميدانية	مقصودة	ضريح سيدي عطاء الله

[11]– شمس الدين الكيلاني، **من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي** –الأسطورة، الدين، الايدولوجيا، العلم. دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 1998 ، ص.ص 128 .129 .

[12] أ. ك أوليدوف، **مرجع سابق**، ص 12.

الجدول رقم 2: يوضح الفئات المحورية المتعلقة بالموسم السنوي للضريح (وعدة سيدي عطاء الله)

رقم الفئة	عنوان الفئة	التكرار	النسبة
1	[تقام أوائل الخريف من كل سنة...]	5	%13,51
2	[يجتمع فيها أولاده وأحبابه ...]	2	%5,40
3	[حفل...]	1	%2,70
4	[في السابق يقام بنية خالصة...]	2	%5,40
5	[تجتمع فيه كل الناس من جميع ولايات الوطن...]	2	%5,40
6	[رمز للفروسية والمقاومة...]	10	%27,02
7	[فيه نوع من التراث العربي الأصيل...]	1	%2,70
8	[تجديد الولاء الروحي لهذا الولي بواسطة الإطعام عنه..]	5	%5,40
9	[التعارف بين الأفراد والمجموعات إلى جانب المصاهرة]	2	%5,40
10	[الفلكلور الشعبي ...]	2	%5,40
11	[عملية إصلاح ما فسد بين القبائل والأفراد ...]	2	%5,40
12	[حلقات للذكر ولقراءة القرآن كل ليلة قرب الضريح]	1	%2,70
13	[الشعر الشعبي...]	1	%2,70
14	[إبرام الصفقات التجارية والأسواق الاستثنائية]	1	%2,70
المجمـــــــــــــــــــوع		37	%100

– **التحليل الإحصائي للجدول رقم 02:** من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أن أعلى نسبة **27,02%** متمثلة في فئة الموسم السنوي[رمز للفروسية والمقاومة] بتكرار **10**مرات، مقارنة بفئة أن الوعدة [تقام أوائل الخريف من كل سنة] والمتكررة 05 مرات، مقابل تكرار لنسبة **5,40%** مرتين في كل من فئة انه [يجتمع فيها أولاده وأحبابه]، فئة [في السابق يقام بنية خالصة]، فئة [تجتمع فيه كل الناس من جميع ولايات الوطن]، فئة [تجديد الولاء الروحي لهذا الولي بواسطة الإطعام عنه]، فئة [التعارف بين الأفراد والمجموعات إلى جانب المصاهرة]، فئة [الفلكلور الشعبي]، فئة [عملية إصلاح ما فسد بين القبائل والأفراد]، لتتضاءل النسبة إلى مرة واحدة في كل من فئة الوعدة [حفل]، فئة [فيه نوع من التراث العربي الأصيل]، فئة [حلقات للذكر ولقراءة القرآن كل ليلة قرب ضريح الشيخ]، فئة [الشعر الشعبي]، فئة [إبرام الصفقات التجارية والأسواق الاستثنائية] بنسبة **2,70%**.

– **التحليل السوسيولوجي للجدول رقم 02:** من خلال القراءة الإحصائية للجدول أعلاه وبناءا على إجابات مستجوبينا ضمن دليل المقابلة المدرج في ملاحق الدراسة نتوصل إلى أن الموسم السنوي للضريح او ما يعرف بوعدة سيدي عطاء الله له الأثر الكافي لدعم استمرارية الوعي بالزيارة ، ففيه من الانعكاسات المعنوية والنفسية ما يترك من صدى في مستوى وعي الزوار وذلك ما قد يدفعهم إلى تجديد الولاء الروحي للولي الصالح كل سنة إحياء لذكراه كما هو مدون في فئة [تجديد الولاء الروحي لهذا الولي بواسطة الإطعام عنه]، إلى جانب الفضاء العلائقي الذي يصنعه داخل وفي محيط الأضرحة بين زواره كما هو متوصل إليه في فئتي [التعارف بين الأفراد والمجموعات إلى جانب المصاهرة] وفئة [يجتمع فيها أولاده وأحبابه]، مما يدمج وعي الأفراد نحو وعي الجماعات من خلال طبعا تلك الممارسات المؤداة بشكل جماعي طيلة أيام موسمه السنوي المقام في كل خريف من كل سنة [تقام أوائل الخريف من كل سنة] إلى جانب الأهداف الإصلاحية التي تطبعه .

الجدول رقم 03 : يمثل الجدول الرئيسي للفئات

رقم الفئة	الفئـــــــــــــــات	التكـــرار	النسبة
08	[تقام أوائل الخريف...] [يجتمع فيها أولاده وأحبابه...] [يطعمون الطعام ويتزاورون...] [يحلون المشاكل العالقة بين العروش والعائلات والأفراد...] [حفل ...] [في السابق يقام بنية خالصة...] [تجتمع فيه كل الناس من جميع ولايات الوطن...] [رمز للفروسية والمقاومة...] [فيه نوع من التراث العربي الأصيل ...] [ملتقى للفروسية ...][حفل الفروسية ...] [الفروسية ...] [إطعام الطعام ...][إطعام الطعام ...] [إطعام الطعام...] [التعارف ...] [الفلكلور الشعبي ...] [.يختلف طابعها كثيرا عن السابق ...] [كان قديما يحضرها أولاد الولي أو قبيلة الولي مع أحبابه ...] [يلتقون كل سنة...] [تجديد الولاء الروحي لهذا الولي بواسطة الإطعام عنه...] [عملية إصلاح ما فسد بين القبائل والأفراد ...] [حل النزاع على الأراضي...] [الديات...إصلاح ذات البين مجملا...] [تقام بعد موسم الحصاد لاستقبال الموسم الجديد...] [الغالبية من سكان منطقة البيض من قبيلة ماكنة...] [خيالة تاجموت وكذا خيالة منطقة آفلو...] [...تكون كل خريف من كل سنة ...] [...إحياء ذكراه...] [حلقات للذكر ولقراءة القرآن كل ليلة قرب ضريح الشيخ] [الشعر الشعبي...] [تأتي فرق فلكلورية...] [الفنطازيا أين يتنافس الفرسان...] [الولائم ...من إطعام وإيواء] [التعارف بين الأفراد والمجموعات إلى جانب المصاهرة] [إبرام الصفقات التجارية والأسواق الاستثنائية] [تكون هناك مصالحات بين المتخاصمين]	37	%33,33

الجدول رقم 04 : يوضح العلاقة بين الجماعات التي ينتمي الزوار اليها وشعورهم بنقص الاندماج نحوها:

إ. ج	الحي		العمل		جمعيات		الدراسة		المسجد		اخرى	المجموع	
ن . إ	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ن	ت	ت	ن	ت
عم	%26,31	5	%05,26	5	%05,26	5	%0	05	%0	0	0	%42,10	40
لا	36,84%	5	%05,26	5	%0	0	%05,26	05	%05,26	5	5	%57,89	55
مجموع	%63,15	0	%10,52	10	%05,26	5	%10,52	10	%05,26	5	5	100%	95

– **التحليل الإحصائي للجدول رقم 04:** من خلال معطيات الجدول يتضح لنا أن نسبة **36,84%** بتكرار **35** مرة من الزوار الذين ينتمون إلى جماعة الحي ولا يشعرون بنقص الاندماج نحو هاته الجماعة مقابل **26,31%**منهم بتكرار **25** ممن يشعرون بنقص الاندماج نحوها، في حين تتكرر النسبة إلى **05,26%** بتكرار**5** مرات كنسبة أقل والموزعة على جميع الفئات المتبقية. والمتمثلة في كل من فئة جماعة العمل، الجمعيات، الدراسة، المسجد، أو جماعة أخرى.

حيث ان نسبة **05,26%** بتكرار**05** مرات من الزوار الذين ينتمون إلى جماعة العمل يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجماعة مقابل **05,26%** منهم بتكرار **05** مرات ممن لا يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجماعة، كذلك نلاحظ تكرار نسبة **05,26%** والمتكررة**05** مرات من الزوار الذين ينتمون إلى الجمعيات يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجماعة، لتنعدم النسبة إلى**0%** منهم ممن لا يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجمعيات. إلى جانب تكرار النسبة **05,26%** في فئة الزوار الذين ينتمون إلى جماعة الدراسة والذين يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجماعة مقابل **05,26%** منهم بتكرار 05 مرات ممن لا يشعرون بنقص الاندماج لجماعة الدراسة ، وفي المقابل تتكرر كذلك النسبة إلى **05,26%** بتكرار **05** مرات من الزوار الذين ينتمون إلى جماعة المسجد ولا يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجماعة لتنعدم النسبة إلى **0%**منهم ممن يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجماعة، كذلك تتكرر نسبة **05,26%**بتكرار**05** مرات من الزوار الذين ينتمون إلى جماعات أخرى ولا يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجماعة مقابل انعدام النسبة إلى**0%**منهم ممن يشعرون بنقص الاندماج لهاته الجماعة.

– **التحليل السوسيولوجي للجدول رقم 04:** ما يمكن التوصل إليه من خلال الجدول أعلاه وبعد قراءته إحصائيا أن غالبية زوار ضريح سيدي عطاء الله ينتمون إلى جماعة الحي وذلك بنسبة **63,15%**منهم من يشعرون بنقص الاندماج نحو هاته الجماعة بنسبة **26,31%** ومنهم من لا يشعرون بنقص الاندماج نحوها وذلك بنسبة **36,84%**، لتتوزع باقي النسب بشكل متساوي إلى **05,26%** ممن ينتمون إلى جماعات مختلفة ويشعرون بنقص الاندماج نحوها من عدمه .

ما نستشفه من خلال عرض القراءات الإحصائية السابقة أن هناك من زوار ضريح سيدي عطاء الله من يتوجه لزيارته بحثا عن الاندماج بعد أن شعر بنقص الاندماج نحو الجماعة التي ينتمي إليها خارج إطار او فضاء الضريح وذلك بنسبة **42,10%** موزعة على كل من جماعة العمل، الجمعيات، الدراسة بنسبة **05,26%** في كل فئة، دون ان نهمل حساب نسبة جماعة الحي والمقدرة بـ **26,31%** كما اشرنا سابقا وكما هو مدون في الجدول أعلاه.

مما قد يدفع ذلك الفرد للبحث عن الاندماج مع الأفراد الذين يلتقي بهم أثناء الزيارة وفي محيط ضريح الولي، كونه شعر بنقص الاندماج إلى الجماعات الأخرى التي ينتمي إليها خارج هذا الفضاء، وهذا ما قد يجده من خلال مشاركته لأفعالهم وممارساتهم الطقسية وربما معاناتهم من نفس المشاكل التي يعاني منها، أين اشتراكهم معه في مثل تلكم الأفعال يشعره انه ينتمي إليهم وبالتالي يندمج نحوهم، مما يدفعنا للقول إن ما يصنعه ذلك الفضاء العلائقي بين الزوار من شأنه أن يدمج وعي الفرد نحو وعي الجماعة بحثا عن الشعور بالاندماج.

هذا ما قد أكده **فيريه** كما رأينا سابقا من أن قوى حقيقية تبرز من هذه الطقوس، التي تدفع الفرد نحو الجماعة ومن هنا وظيفتها الاجتماعية: "حيث أن الأعياد الدينية فيها تشد من وحدة وقوة الجماعة" ولكنه هنا يختلف مع **دوركهايم** الذي شدد على الوظيفة الاجتماعية للأسطورة والطقس فهو (أي فيريه) لا يوافق دوركهايم على أن الرباط الاجتماعي يمتزج بالرباط الديني لأن المجتمع الإنساني يتواطأ برأي فيريه في بداية الأمر بالحاجات "فالروابط العاطفية والروحية تضاف فقط إلى هذا الرباط البدائي الذي يبقى خاضعا لها دون أن يدرك ذلك. ودورها هو التعبير عن الروابط الموضوعية المعقودة في الوجود وتقويته"[13].

[13]– شمس الدين الكيلاني، **مرجع سابق**، ص.ص 128 .129 .

الجدول رقم 05: يوضح العلاقة بين رغبة الزوار في الزيارة وشعورهم بالاندماج مع جماعة الزيارة من عدمه:

– التحليل

هناك رغبة في الزيارة	نعم		لا		المجموع	
الشعور بالاندماج مع ج.ز	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	30	% 31,57	40	% 42,10	70	%73,68
لا	10	%10,52	15	%15,78	25	%26,31
المجموع	40	%42,10	55	%57,89	95	100 %

الإحصائي للجدول رقم 05: من خلال الجدول المدون أعلاه نلاحظ كأعلى نسبة والمقدرة ب **42,10 %** بتكرار**40مرة** تتمثل في فئة الزوار الذين ليس لديهم رغبة في الزيارة ويشعرون بالاندماج مع جماعة الزيارة مقابل نسبة **31,57 %** من بتكرار**30** مرة من الزوار الذين لديهم رغبة في الزيارة ويشعرون بالاندماج مع جماعة الزيارة في حين تصل النسبة إلى **15,78%** بتكرار **30** من الزوار الذين ليس لديهم رغبة في الزيارة ولا يشعرون بالاندماج مع جماعة الزيارة مقابل نسبة **10,52%** والمتكررة **10** مرات من الزوار الذين لديهم رغبة في الزيارة ولا يشعرون بالاندماج مع جماعة الزيارة.

–**التحليل السوسيولوجي للجدول رقم 05:** من خلال القراءة الإحصائية للجدول، وكما تبينه النسبة المدونة في الجدول أعلاه والمقدرة بحوالي **73,68%** بتكرار**70** مرة من مجموع زوار ضريح سيدي عطاء الله الذين يشعرون بالاندماج مع جماعة الزيارة، أي بمن يلتقون من الزوار أثناء توجههم لزيارة الضريح سواء من لديهم رغبة في ذلك أم لا، إلا أنهم يشعرون بذلك الاندماج الذي قد يعود لكونهم تجمعهم وجهة واحدة سواء تعلقت بالبحث عن الشفاء أو إيجاد الحلول لمشاكل قد تكون نفسية أو اجتماعية مما يعانون، أين يرون أنهم بقصدهم الولي بالزيارة سوف يشعرون بالراحة والشفاء وسيجدون الحلول لتلكم المشاكل، وبالتالي فبمجرد التحاور مع بعضهم البعض حول سبب الوجهة وبتبادل الآراء والخبرات خاصة تلك المتعلقة بالزيارات السابقة لهم، وهذا ما لمسناه من خلال توجهاتنا المتكررة لميدان الدراسة طيلة فترة البحث، حيث أن غالبية الزوار عندما يتحاورون مع بعضهم البعض في شكل تعارف حول سبب الزيارة، يروون قصص لأقربائهم أو أناس يعرفونهم كانوا يعانون من مشاكل مختلفة صحية كانت أو نفسية أو غير ذلك وبمجرد قصدهم الولي بالزيارة شعروا بالارتياح وان وهناك من شفي من أمراض مستعصية، وآخرون حلت مشاكلهم المختلفة.

هذا ما نجده في تحليلات مانهايم من أن انتماء الفرد إلى مجموعة اجتماعية محددة يؤدي إلى تحديد تفكيره بصورة قدرية مسبقة من خلال وضع هذه المجموعة. فالفرد لا يمكن أن ينفصل عن المجموعة التي يفكر ويتصرف بداخلها وتفكيره مرتبط ارتباطا وثيقا بوعيها، والوعي الفردي هو بالنسبة لمانهايم وببساطة برهان على أن المجموعة تعي وضعها الاجتماعي وعيا مباشرا هنا يبدو بوضوح كم هو متناقض مفهوم مانهايم حول الارتباط بين الوجود الاجتماعي والوعي.[14]

[14]– أ. ك أوليدوف، **مرجع سابق**، ص 12.

الجدول رقم06 :يوضح علاقة حضور زوار ضريح سيدي عطاء الله لموسمه السنوي وسبب ذلك

حضور الموسم	الكبار فقط		الصغاركذلك		المجموع	
سبب الحضور	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
الترفيه عن النفس	% 5, 26	05	%10,52	10	%15,78	15
م.ع.ذكرى الموسم	% 5,26	05	% 52,63	50	%57.89	55
ت. للأجيال القادمة	% 5,26	05	%21,05	20	%26,31	25
المجموع	%15,78	15	%84,21	80	%100	95

التحليل الإحصائي للجدول رقم 06: نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن نسبة **52,63%** والمتكررة 50 مرة من الزوار ممن يحضرون الموسم السنوي لضريح سيدي عطاء الله يصطحبون معهم الصغار كذلك للمحافظة على ذكرى الموسم كأعلى قيمة، تليها نسبة **21,05%** بتكرار **20** مرة ممن يصطحبون الصغار معهم لترسيخ ذكرى الموسم للأجيال القادمة، لتصل النسبة إلى **10,52%** والمتكررة **10** مرات منهم ممن يصطحبونهم معهم للترفيه عن النفس، لتتضاءل النسبة إلى حد **5,26%** والمتكررة **05** مرات في جميع الفئات المتبقية بنسب متساوية كما هو موضح في الجدول أعلاه ونقصد بذلك أن نسبة 5,26**%**بتكرار **05** مرات من زوار الضريح الذين لا يصطحبون معهم الصغار تتوزع بشكل متساوي على سبب حضورهم الموسم من ترفيه عن النفس، إلى المحافظة على ذكرى الموسم، وكذا ترسيخه للأجيال القادمة .

التحليل السوسيولوجي للجدول رقم 06: من خلال المعطيات البحثية التي توصلنا إليها واستنادا إلى التحليل الإحصائي المدون أعلاه نتوصل إلى أن غالبية الزوار يصطحبون معهم جميع أفراد أسرتهم الكبار والصغار، وذلك بنسبة **52,63%**سواء كان ذلك لترسيخ ذكرى الموسم في أذهان الصغار منهم كنسبة اكبر، ولتدعيم استمرارية وعيهم بزيارة الضريح ، او للمحافظة على ذكرى الموسم، وكذا للترفيه عن النفس .

مما قد يفسر أنهم كانوا يقيمون تلك الاحتفالات بحكم إقامة الولي الصالح سيدي عطاء الله لها سابقا في مثل ذلك الوقت من السنة في فترة الخريف. وبالتالي عندما يحضرون الموسم يشكل ذلك استمرارية رغبتهم في زيارة ضريحه في الأوقات العادية أو المناسبات الأخرى التي تقام لدى زاوية الضريح خصوصا أيام الأعياد والمناسبات الدينية كما حدثنا عن ذلك مقدم الزاوية الحالي في المقابلة التي أجريناها معه من جهة، وحضورنا لمثل تلك المواسم بغرض إجراء ملاحظاتنا بالمشاركة، وهنا يحضرنا ما تحدث عنه سبينوزا من أن "نزوع شيء ما إلى استمرارية وجوده وحفظ ذاته ما هو إلا جوهر الشيء نفسه ويشير مصطلح conatus إلى ذلك الجوهر الذي يعني الاستمرارية في الوجود".[15]

الجدول رقم 07 : يوضح العلاقة بين إقامة الزوار للاحتفالات المصاحبة للموسم إحياء للتقاليد أم لان الولي كان يقيمها سابقا.

إقامة الاحتفالات	إحياء للتقاليد		لسبب آخر		المجموع	
لان الولي كان يقيمها	ن	ت	ن	ت	ن	ت
نعم	%5.26	05	%68,42	65	%73,68	70
لا	%5.26	05	%10,52	10	%15,78	15
المجموع	%10,52	10	%89,47	85	%100	95

[15]– بيار بورديو، **أسباب علمية– إعادة النظر بالفلسفة–**، دار الأزمنة الحديثة، بيروت، ط1، 1998.

– **التحليل الإحصائي للجدول رقم 07:** ما يمكن ملاحظته من خلال الجدول أن نسبة **68,42%** المتكررة **65** مرة على قيمة تتمثل فئة الزوار الذين يقيمون الاحتفالات لسبب آخر وهو أن الولي كان يقيمها سابقا مقابل نسبة **10,52%** المتكررة **10** مرات منهم ممن يقيمون تلك الاحتفالات لسبب آخر لا يتمثل في أن الولي كان يقيمها، مقارنة بنسبة **5.26%**بتكرار **05** مرات والمتمثلة في فئة الزوار الذين يقيمون تلك الاحتفالات إحياء للتقاليد ولان الولي كان يقيمها سابقا، لتتكرر النسبة **5.26%**منهم ممن يقيمون تلك الاحتفالات لكن ليس لسبب أن الولي كان يقيمها .

–**التحليل السوسيولوجي للجدول رقم 09:** من خلال الجدول المشار إليه أعلاه نلاحظ أن هناك من الزوار من يقيم تلك الاحتفالات المصاحبة للموسم إحياء للتقاليد، وهناك من يقيمها لسبب آخر والمتمثل في حسب إجابات الغالبية أن الولي سيدي عطاء الله هو من كان يقيمها.

وبالتالي استمرارية الممارسات التي كان يؤديها الولي بعد مماته قد تدل على استمرارية وعيهم بزيارته من خلال إقامتهم لما كان يقوم به من ممارسات يوم أو أيام الموسم السنوي، فإعادة تكرارهم لها إحياء لما كان يقوم به الولي سابقا يعزز استمرار وعيهم بزيارة ضريحه ويرسخ في أذهانهم ويجدد كل سنة وعيهم بذلك .

وإذا اعتبرنا الموسم كطقس يمارس من قبل الزوار يحضرنا ما أشار إليه دوركهايم في أن الطقوس هي ربط الحاضر بالماضي والفرد بالجماعة، فالوظيفة الحقيقية للطقس لا تكمن في التأثيرات الخاصة والمحددة التي يبدو أنه يهدف إليها، التي من خلالها تميزه عادة ولكن في الحركة الشاملة، التي وإن بقيت دائما وفي كل مكان مشابهة لنفسها، إلا أنها مع ذلك قابلة لأخذ أشكال مختلفة بحسب الظروف". انه يثير أخيرا مشكل فعالية الطقس الذي تضطر أيضا أنثربولوجيا الشأن المعاصر أن تجد له حلا، وبالنسبة إليه يوجد الجواب في المجتمعي: "فالطقس ينتج حالات ذهنية جماعية تنتج عن حدث اجتماع الجماعة".ما هو مهم هو كون أفراد ما مجتمعين يحسون بالمشاعر ذاتها ويعبرون عن أنفسهم بأفعال مشتركة، هذا كله يقودنا إلى الفكرة نفسها الطقوس، قبل كل شيء هي الوسائل التي من خلالها تؤكد من جديد جماعة بشرية حضورها دوريا. ويختم تحليله بشرح أن الحياة الجماعية عندما تصل إلى درجة معينة من الفعالية" – عندما تتوفر شروط ديموغرافية ومجتمعية وثقافية – توقظ الحياة الدينية، لأنها تحدث حالة الجيشان، وتغير شروط النشاط النفسي، إذ لا يمكن أن يوجد مجتمع لا يشعر بالحاجة إلى تثبيت وتقوية المشاعر الجماعية بين فترات منتظمة ."[16]

لنصل إلى أن إقامة غالبية الزوار لمثل تلك الاحتفالات المصاحبة للموسم السنوي للضريح وحضورها بسبب أن الولي كان يقيمها سابقا كما توصلنا إليه في التحليل الإحصائي سابقا كأعلى نسبة المتمثلة في **73,68%** حفاظا على أفعاله واستمرارا لها يدفعنا إلى القول أن استمرارية القيام بتلك الممارسات يعزز استمرارية الوعي بزيارته بشكل جماعي ومستمر.

خلاصة : إننا أمام ظواهر متداخلة ، متعايشة ، متصارعة ، من الصعب على الباحث أن يدرس ظاهرة من الظواهر المفعمة بالديناميكية وسرعة التغيير ، إلا انه قد يسعى إلى محاولة تشخيصها من وجهة نظر معينة ، مع الأخذ بعين الاعتبار ما أمكن ذلك التحلي بدرجة من الموضوعية والتعامل بمرونة مع حيثيات البحث نسبيا لنسبية العلوم الإنسانية في حد ذاتها .

[16] – مارتين سيغالان، "الطقوس والطقوسيات المعاصرة من ذاكرة الأنثروبولوجيا إلى الممارسة"– (دوركهايم، موس، دوغلاس، سنتليفر)– تر: ميلود حكيم، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، العدد 46، 2000، ص53 .